تـمّ تحميل هذا الملفّ من مكتبة الأديب الرّاحل رمضان لاوند | جميع الحقوق محفوظة © www.RamadanLawand.com

الإسلام عند غير المسلمين

الحلقة (17)

باسم الله أبدأ ..

وفي ظل المصطفى عليه الصلاة والسلام يكون الحديث .

وبهدي من الإسلام يمضي الفكر ويلتمس التوفيق ..

أيها الأخوة في العروبة ..

سمعتم ولا شك عن الكيمياء .. ذلك العلم التجريبي الذي حمل الإنسان بعيداً.. بعيداً جداً إلى القمر...

هذا العلم .. لفخركم بالأجداد .. ولاستثارتكم إلى أمجاد .. هذا العلم .. نشأ هنا .. في أرض الوطن .. بين ربوع النيل .. ثم أخذه عن مصر أهل اليونان فما أضافوا إليه جديداً مؤثراً فيه كعلم نام متطور حتى جاء علماء المسلمين واحتضنوه وبرزوا فيه ونبغوا ووضعوا أسسه العلمية المتطورة وليختطفه علماء أوروبا في القرون الوسيطة ويسيطروا به على بلاد العرب والإسلام وينطلقوا به اليوم إلى القمر وكل كواكب الفضاء .

واسمعوا قصة أخطر علوم العصر " الكيمياء " ..

اسمعوها واحنوا الرؤوس احتراماً لأجدادكم وحاولوا أن تضيفوا إليه شيئاً جديداً يحي لكم به الأسلاف رؤوسهم تقديراً وإعجابا ..

بدأت الكيمياء في مصر على عهد الفراعنة الأقدمين .. وأخذ اسمه العلمي من أسماء العريق كنت " أي الأرض السوداء "..

وعندما ظهرت الحضارة اليونانية وسادت أخذت هذا العلم فيما أخذت عن مصر .. ولم يستطع علماؤها أن يطوروا فيه كثيراً حتى أن كثيراً من مؤرخيه ينكرون تماماً على اليونان واليونانيين ..

ثم ظهر العرب بدين الله الإسلام في حلبة السباق الحضاري فإذا بأحد أمرائهم الأمويين –خالد بن يزيد بن معاوية – يفتن به فيقبل عليه واهباً عمره .

فنرى خالد يحرص على أن يمضي حياته كلها في مصر ليكون قريباً من المصادر القديمة لهذا العلم ، ويفرد المستشرق الألماني روسكا الجزء الأول من مؤلفه عن الكيميائيين العرب والمنشور عام 1924 عن الأمير الأموي خالد بن يزيد بن معاوية .

كذلك نجده –المستشرق الالماني روسكا – يخصص الجزء الثاني من نفس كتابه عن الكيميائيين العرب للإمام الكبير جعفر الصادق .

وغير روسكا من المستشرقين الكيميائيين نجد عشرات وعشرات هبطوا كالجراد على التراث الكيميائي للمسلمين ، يترجمون ويجربون ويعترفون بتفوق العرب في هذا العلم الخلاب حتى أنهم اعتبروا الكيمياء علماً عربياً خالصاً .. عربي الأصل .. عربي الأصول .. عربي التجريب ..

فالبروفيسور برتلوا المتوفي عام 1907 عضو مجمع العلوم الفرنسي وأحد كبار الكيميائيين العالميين يسجل في كتابه "تاريخ العلوم" فضل العرب على البحث العلمي الحديث ..

والبروفيسور الايطالي ألدوميللي وكيل المجمع الدولي لتاريخ العلوم يضع العديد من المؤلفات عن الكيمياء العربية مثل " كيميا البيروني " ومؤرخو العلوم وتاريخ العلوم، وكذلك نجده وهو الرجل الذي يمثل ثاني مركز في المجمع الدولي لتاريخ العلوم يصدر عام 1938 بحثه عن العلم العربي وأثره في التطوير العلمي العالمي ذلك البحث الذي أحدث دوراً هائلاً في الأوساط العلمية المعاصرة باعترافه التاريخي الصادق بفضل علماء المسلمين على الحضارة العلمية في القرن العشرين .

أما الدكتور الألماني فيادمان أستاذ العلوم الطبيعية في جامعة أرلنجين والمتوفي عام 1928 فقد أمضى حياته العلمية جامعاً لكتب العرب ومخطوطاتهم في الكيمياء والطبيعة والرياضة وتعد الدراسات والترجمات التى قدمها عن علماء الإسلام دليلاً حياً ناطقاً ومشرفاً بما جاء عليه الأجداد من تحضر وتفوق وقدرة على العطاء العلمي المتطور .

يقول أستاذ العلوم الطبيعية في جامعة أرلنجين الألمانية الدكتور فيادمان ضمن دراسات له عن الإسلام والعلم توفر على نشرها بين عام 1911 وعام 1914.

" إن الإسلام كتعاليم خلق روح البحث والتفوق عند العرب والدليل على ذلك غزارة العطاء العلمي العربي منذ آمنوا بالإسلام ما لم يحدث لأمة من الأمم السابقة والحاضرة مهما كان نوع مبادئها وعلى الرغم من بساطة الإمكانيات التي كانت بين أيديهم بحكم العصر وظروف الحضارية " ..

أيها الأخوة في العروبة ...

بعد هذا العرض المتيسر للتقدير العلمي الصادق لفضل العلماء المسلمين على علم الكيمياء أخطر علوم القرن العشرين لا بد لنا من جولة في العلم العربي على ضوء ما حققه فيه الأجداد من تطور وتفوق .

لقد وضع الكيميائيين العرب أسس التجريب العلمي .. وابتدعوا عدة أساليب في البحث الكيميائي مثل التصعيد بالتبخير والعقد بالبلورة والتقطير والتكليس والتنقية والفهر والصهر .

كذلك كان الكيميائيون العرب أول من عرف القلويات وقام بتكوينها مثل حامض الكبريتيك وحامض الازوتيك وحامض النتريك .

ولعله يكون غريباً على أسماع شباب هذا الجيل أن يذكر لهم اليوم أن من أهم الأدلة العلمية التاريخية على التفوق الكيميائي الإسلامي أن تركيب البارود اختراع عربي ..

يقول العالم الكيميائي الألماني المستشرق روسكا ..

" إن اختراع العرب للبارود أقوى دليل على تقدمهم في الكيمياء العلمية " ..

وهنا نود في ختام لقائنا اليوم أن نعرض للكيميائي الإسلامي الأشهر جابر بن حيان . إن تاريخ الكيمياء يسجل له بالفخر أنه كان أول من اصطنع التجربة العلمية .. له نحو مائة مؤلف .. أشهرها ثمانية وعشرون كتاباً .. وأهمها جميعاً "الخواص الكبيرة" .

وقد تمت ترجمة جميع مؤلفاته إلى مختلف لغات أوروبا ولها حتى يومنا هذا مكانتها العلمية حتى لقد وصفه في أوائل أربعينات القرن العشرين المستشرق التشيكي بول كراوس بأنه الأب الروحي للكيمياء في العالم .

وأخيراً .. وليس آخراً .. يجب أن نذكر شباب هذا الجيل أن جابر بن حيان لم يولد مسلماً وإنما دخل قلبه الإيمان وهو رجل ناضج السن والعقل وبعد بحث دقيق طويل ونقاش على النفس صادق وعميق .

وغير جابر بن حيان .. نجد ثابت بن قرة من أبناء حران الذي وصفه فيادمان استاذ العلوم الطبيعية في جامعة أرلنجن بأنه مع جابر بن حيان أصحاب الفضل على البشرية في وضع أسس التجريب الكيميائي .

كذلك نجد من عباقرة الكيميائيين العرب مسلمة المجريطي وكتابه رتبة الحكيم وعشرات وعشرات من العلماء والمؤلفات تحتل بها مخطوطات وتراجم مكتبات الجامعات الأجنبية تسجل للبشرية حقيقة ما وصل إليه علم الكيمياء في ظل الإسلام وكيف كان تفوق العرب فيه وإبداعهم في مخترعاته وأسلوبهم في البحث والتجريب هو الأساس الثابت الذي قام عليه التطور الكيميائي المعاصر بسيطرته الخرافية على إنسان القرن العشرين .

أيها الأخوة العرب ...

لعل خير ما نتركه في أسماع أبناء هذا الجيل بعد كل هذا الحديث الطويل هو ذلك القول الذي سجله مؤرخ الكيمياء المستشرق الانجليزي هولميارد في كتابه عن صناع الكيمياء والذي نشرته جامعة اكسفورد عام 1931 من أن أوروبا إذا احتبست الكيمياء عن العرب في العصر الوسيط كان يجب عليها أن تقدم لجابر بن حيان ما قدمته لشكسبير .. فأثر المسلم بن حيان وخدمته للبشرية على مر الأجيال مليون ضعف ويزيد ملايين عن أثر شكسبير وما قدمه للبشرية ..

وبعد يا عرب .. ماذا يمكن أن أقول للأخوة الشباب .. أملنا في المستقبل القريب والبعيد ؟

ماذا أقول غير دعاء الأعماق ..

الله الموفق .. الله المعين ..